

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية
أن تقدم لكم تفريغا لمحااضرة بعنوان

"أحكام المسح على الخفين"

ألقاها الشيخ
د. محمد بن غيث غيث
- حفظه الله تعالى -

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع به الجميع
قام بها فريق التفريغ
شبكة بينونة للعلوم الشرعية
حقوق الطبعة محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كان السلف يقولون؛ كما قال عطاء: "باب من العلم يتعلمه الرجل بصلاح نفسه وصلاح من بعده خيرٌ من عبادة حول".

بل صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة**»^(١).

فالعلم إما فضل وإما واجب، والحياة لا تقوم إلا بالعلم ولا تحيا إلا بالعلم، والثبات في الدنيا والدين لا يكون إلا في العلم

لذلك قال الزهري -رحمه الله-: "كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يُقبض قبضاً سريعاً، فنعش العلم -أي: انتعاشه وظهوره- ثبات الدنيا والدين، وذهاب العلم ذهاب ذلك كله".

(١) الحاكم (٣١٤)، البيهقي (٨٣٠).

وفي الحديث المحفوظ عندكم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

فيكون الذي لا يتفقه في دينه؛ فالله لن يرد به خيراً. فالمسلم أحرص ما يكون على الخير كما كان الصحابة رضي الله عنهم.

درسنا اليوم ليس عن الاستقراء، ولكن عن أمر آخر، وأحببت أن أتكلم عن أمر مهم يتعلق بالاعتقاد، ولكن الكلام فيه يطول، وهو: "أهمية التوحيد في الدعوة إلى الله".

"المسح على الخفين".

لكن أتكلم عن فضل قد يستعمله كثير من الناس؛ خاصة في الشتاء؛ ألا وهو "المسح على الخفين". مشروعيته وشروطه ومدته ومحلّه وماذا يبطله؟ والمسح على الجوارب.

هذه المسائل يحتاجها الإنسان؛ خاصة في فصل الشتاء، وإن كان الخُف يُلبس في الشتاء وفي الصيف، لكن في الشتاء أكثر، أما المسح على الخفين؛ فقد أجمعت الأمة على مشروعيتهما؛ بل عُدَّ شعار لأهل السنة؛ حتى ذُكر في كتب الاعتقاد؛ لتمييزوا بهم عن غيرهم.

(١) البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

ذكره الطحاوي - رحمه الله - وغيره في العقيدة، ولذلك قال النووي - رحمه الله -: أجمع من يُعتد بهم بالإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر؛ سواء كان حاجة أو غيرها؛ حتى يجوز للمرأة الملازمة بيتها، والزمن الذي لا يمشي، وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم.

وقال الحسن البصري: حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يمسح على الخفين. وقال ابن المبارك: ليس في المسح على الخفين خلاف.

وقال الإمام دقيق العيد - رحمه الله -: وقد اُشتهر المسح على الخفين عند قدماء الشريعة؛ حتى عُدَّ شعارًا لأهل السنة وعُدَّ إنكاره شعارًا لأهل البدع.

ما شروط المسح على الخفين؟

يُشترط لجواز المسح على الخفين أربعة شروط: -

١. الشرط الأول: أن يلبسهما على طهارة.

٢. الشرط الثاني: أن تكون الخفاف في نفسها طاهرة.

٣. الشرط الثالث: أن يكون المسح في الحدث الأصغر.

٤. الشرط الرابع: أن يكون في المدة المحددة شرعًا.

فالشروط أربعة: الشرط الأول: اللبس على طهارة، والثاني: أن تكون

الخفاف طاهرة، والشرط الثالث: أن يكون المسح في الحدث الأصغر، والشرط

الرابع: أن يكون في المدة المحددة شرعًا.

أما الشرط الأول: أن يلبسهما على طهارة؛ يعني: على وضوء. ثبت في الصحيح من حديث المغيرة بن شعبة أنه كان مع رسول الله ﷺ ذات ليلة في مسير في سفر.

قال: فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ، -من الجلد- قال: فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لَأَنْزَعُ خُفَّيْهِ فَقَالَ: «دَعُهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ»^(١).
أدخل ماذا؟ أدخل قدميه.

جاء في رواية أبي داود في الصحيحين: دع الخفين فإني أدخلت قدمي في الخفين وهما طاهرتان. فمسح عليهما. وفي حديث صفوان أراد أن يمسح عن خفيه، إذا نحن أدخلناهما على طهر.

ولكن هنا مسألة فقهية؛ وهي هل يُشترط لجواز المسح على الخفين، يعني: هل يُشترط للبسهما على طهارة كمال الطهارة أم لا؟ يجوز للإنسان إذا توضأ أن يلبس الخفين ثم يمسح عليهما.

ولكن لو غسل الرجل اليمنى ثم لبس خف اليمنى، ثم غسل الرجل اليسرى ثم لبس الخف الأيسر، هل هنا ينطبق عليه أنه لبسهما على طهارة؟ يعني: هل يُشترط إكمال الطهارة ثم اللبس لجواز المسح أو لا يُشترط.

الكثير من الناس يفعل هذا، يغسل الرجل ثم يمسحها ثم يلبس الجورب أو الخف، ثم بعد ذلك يغسل أخرى؟ ما الجواب؟ هذا لا بد من إتمام الطهارة أولاً، أم يجوز قبل ذلك؟

الجواب: اختلف العلماء في هذان، والراجح أنه لا بد من إتمام الطهارة، وذلك أن الحدث معنى من المعاني لا يتجزأ، فهو قبل تمام الوضوء محدث ولا غير محدث؟ محدث، فلا يتم الطهر إلا بغسل الرجل اليسرى ويؤيد ذلك قوله ﷺ: «إذا توضأ أحدكم ولبس خفيه».

ماذا يعتبر الإنسان متوضأ؟ قال: «لبس خفيه فليصلّ فيهما وليمسح عليهما». (١) الحديث ذكره الدارقطني والحاكم وهو في صحيح الجامع.

الشرط الأول: أن يلبسهما بعد تمام الطهارة.

الشرط الثاني: أن تكون الخفاف في ذاتها طاهرة، فلو كانت نجسة، لا يلبس عليها. يدل على ذلك أن النبي ﷺ صلى ذات يوم بأصحابه في نعل، وكانت النعل فيها قدر أو أذى، فجاءه جبريل فأخبره فخلع؛ فدل الخلع على أنه لا يجوز للإنسان أن يصلي في شيء في نجاسة. واضح.

الشرط الثالث: أن يكون المسح في الحدث الأصغر. وأما الحديث الأكبر فإنه يجب أن ينزع الخفين.

دليل ذلك: ما ثبت في عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ.^(١)

الغائط حدث أكبر ولا أصغر؟ أصغر، والبول كذلك والنوم كذلك؛ فبهذا الحديث لا يكون المسح في الحدث الأكبر.

الشرط الرابع: أن يكون المسح في المدة المحددة شرعاً، وهو يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام ولياليها للمسافر. كم ساعة يوم وليلة؟ أربعة وعشرين. مدة المسح معروفة، هو ما تقدم في حديث النبي من صحيح مسلم، قال: جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوم وليلة للمقيم. وهذا التحديد متواتر عن النبي ﷺ.

مسائل في المسح على الخفين.

* متى تبتدئ حساب المدة؟ هل هي من اللبس أو من أول الحدث أو من أول مسح؟ متى تبتدئ؟ اختلف العلماء ولكن الصحيح أن المدة تُحسب من أول مسح؛ فتبتدئ المدة من مرة مسحت، وليس من لبس الخف وليس من الحدث بعد اللبس.

دليل ذلك: أن الشرع جاء بلفظ المسح. قال: يمسح المسافر يوم وليلة. يمسح المقيم. فإذا مسح ابتدئ عليه المدة؛ سواء أحدث أم لم يحدث.

* أين يكون المسح؟ على ظهر الخف. قال عليٌّ عليه السلام: لو كان الدين بالرأي؛ لكن أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه أو من ظاهره. لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر الخف.

يعني: لو كان الدين بالرأي يعني: بالعقل. لكان المسح أسفل الخف أولى من أعلاه؛ لماذا؟ لأنه يباشر الأرض. ولكن الدين بالنقل، قال الله وقال الرسول. لذلك قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر الخف.

* ما القدر المجزئ في المسح؟ فيما يُسمى مسح؛ لن يأتي الشرع بهذا الأمر، فيُرجع فيه إلى اللغة والعرف؛ فما يُطلق عليه مسح فإنه يجزئ، فما مسح عليه ما يطلق عليه اسم المسح جاز، ولذلك لو مسح بيده كاملة جاز، ولو مسح خطوطه مسح يده جاز، فكل ما يُطلق عليه اسم المسح جاز وأجزئ.

* طيب لو كان الخف كان مخرق؛ هل يجوز أن يُمسح عليه أو لا يُمسح؟ الخف المخرق؛ ما حكم المسح عليه؟ لا يجوز، لا بد أن يكون الخف جديد، وإذا كان ليس جديدًا مخرق يعني: أصبع طالع قليل أو من تحت فيه خروق، يجوز ولا لا يجوز؟

من يقول: بالجواز عليه ذكر الدليل، ومن لا يجوز يأتي بذكر الدليل؟ الدين ليس بالرأي. أحسنت جزاك الله خيرًا.

أقوال أئمة السلف -رحمهم الله-.

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: ويجوز المسح على الخف المخرق؛ مادام اسمه باقيًا والمشي فيه ممكنًا. ويقول: يجوز المسح على الخف المخرق. -هذا الضابط: مادام اسمه باقيًا والمشي فيه ممكنًا- قال: وهو قديم قول الشافعي و اختاره أبي البركات وغيره من العلماء.

وقال سفيان الثوري: امسح عليهما ما تعلق به رجلك، وهل كانت خفاف المهاجرين والأنصار إلا خرقه مشققة.

هل كان الأنصار والمهاجرين في زمن الرسول أغنياء، ولا فقراء؟ الغالب فقراء معدمين. لذلك ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]. هذا الذي يُؤثر وبه خصاصة، كيف يُؤثر عليه؟

فالراجح: جواز المسح على الخف المخرق. قال أبو ثور: لو كان الخرق يمنع من المسح، لبينه الرسول ﷺ.

قال ابن المنذر -مرجعًا للعموم-: لأن النبي ﷺ لما مسح على الخفين وأذن بالمسح عليها، أذن أذنًا عامًا مطلقًا دخل فيه جميع الخفاف؛ فكل ما وقع عليه اسم الخف فالمسح عليه جائز على ظاهر الأخبار. هذا هو الصحيح.

ذكر ابن تيمية علة هذا الأمر: وهو أن هذا المسح من باب الرخص، والرخصة من شأنها التشدد لا التيسير؛ التيسير؛ لأنها شرعت من أجل التيسير، فالتشدد فيها يخالف ما شرعت له.

هذا هو الصحيح: أن ما دام الاسم باقياً والمشي فيه ممكناً؛ فيجوز المسح عليه، وما يذكره كثير من الفقهاء وذكره هنا ليس عليه دليل وهذا هو الراجح وهذه أقوال العلماء -عليهم رحمة الله- فالراجح جواز المسح على كل ما لبس في الرجل وهذا من فضل الله ورحمته.

ما الذي يُبطل المسح على الخفين؟

الأمر الأول: انقضاء المدة، لأن وقت المسح محدد، لكن ما معنى انقضاء المدة؟ عند العلماء: أنه لا مسح بعد تمامها، وليس معناها لا طهارة بعد تمامها. معناها عند العلماء: لا مسح بعد تمامها، وليس لها طهارة بعد تمامها، انظر للفرق بين الأمرين؟

يعني: إنسان مسح في صلاة فجر يوم، يقدر يمسح إلى متى؟ إلى فجر اليوم الثاني، فقبل الفجر بخمس دقائق توضأ ومسح، متى ينتهي وقت مسحه؟ بعد خلع الخف، الحدث الأكبر، التنجس يبطل المسح.

متى ينتهي وقت مسحه؟ في الفجر، حين وصل الفجر ينتقض وضوئه أم يبقى على طهارته؟ فمع انتهاء المدة أي: لا مسح بعد انتهائها، وليس لها طهارة بعد ذلك؛ فهي تبقى حتى ينتهي الوضوء.

الأمر الثاني: الجنابة. الحدث الأكبر كما تقدم.

الأمر الثالث: نزع الممسوح عليه من الرجلين. لماذا؟ لأنه إذا خلعهما

ثم لبسهما لم يكن قد لبسهما على طهارة، فلا يجب المسح، ولكن لو أن شخصاً لبس خفاً ثم عليه خف، فمسح عليه ثم نزعه بقي الأسفل هل يجوز له أن يمسح؟ ليس تعجيز.

النبي ﷺ كان يطرح السؤال على أصحابه، أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها مثلها كمثّل المؤمن؟ احتار الصحابة -خاضوا في شجر البوادي- فقال ابن عمر وقعت في نفسي أنها النخلة.

ولكن لما رأى الكبار ما تكلم ﷺ واستحى، لأنك إذا أجبت في مجلس في مسألة ولو خطأ، المسألة تبقى في ذهنك.

فالرسول كان يسأل: «أتدرون من المفلس؟». ^(١) جاء في الأحاديث: «والله لا يفلح والله لا يفلح» قال الصحابة: من يا رسول الله؟ خاب وخسر. في أساليب في الدعوة من قرأ السيرة علمها.

رجل لبس خفين فوق بعضهما، بلاد قد تكون باردة شديدة البرودة، ما ينكر أحد يلبس الثلاثة والأربعة والخمسة، جوارب تقع خلع الأول، هل يجوز يمسح على الثاني ولا لا؟ لبسهم كلهم على طهارة، توضع ثم لبس الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع.

(١) صحيح مسلم (٢٥٨١).

إذا خلع الأول، يجلس على الثاني، وهل لبسها على طهارة، لبس الأول وخلعه، ثم ما يجوز، يلبس خفين في وقت واحد، هل يكون الثاني الذي خلعه ولا الذي قبله، أليس أدخلهما كلاهما على طهارة؟

فخلع الأول بقي الثاني، هل لبسهما على طهارة ولا لا؟ وهل في مدة؟ ما لكم تتنازعون وتختلفون؛ خلاص: فنزع المسموح من الخفين؛ لأنه إذا نزعها لبسها على طهارة.

حكم المسح على الجوارب؟

الآن كثير من الناس في الصباح يصلي الفجر، يتوضأ ويلبس الجوارب ثم يبقى على جوربه مثلاً، ما حكم المسح على الجوارب؟ الجوارب ما حكمه؟ قال الثوري: إنما هو خف من صوف.

قال ابن القيم -رحمه الله- في "معالم السنن": لا يظهر بين الجوربين والخفين فرق مؤثر يصح أن يُحال الحكم عليه، والمسح عليه قول أكثر أهل العلم. بل قال إسحاق بن راهويه: مر في السنة من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين في المسح على الجوربين؛ لا اختلاف بينهم في ذلك.

ونقل الإمام ابن المنذر جواز المسح على الجوربين عن تسعة من أصحاب النبي ﷺ، وزاد ابن القيم عليه أربعة؛ فهؤلاء ثلاثة عشر صحابياً. والعمدة في

الجواز على هؤلاء -رضي الله عنهم-. يعني: كم عدد الصحابة؟ ثلاثة عشر صحابي.

إذا كان الجورب رقيق، هل الحكم يختلف؟

نقل النووي في المجموع: جواز المسح على الجوربين وإن كان رقيقين عن عمر وعن عليٍّ -رضي الله عنهما-، ثم قال: وحكاه عن أبي يوسف ومحمد بن إسحاق وداود.

فحكم المسح على الجوارب هو حكم المسح على الخفين، لا يُشترط فيها إنها يُشترط في الخفاف من الشروط ما هي؟ أن يلبسهما على طهارة، وأن تكون طاهرة، عدد الأزمان والمدة المحددة.

مسألة: يقول الخف يمشي فيه والجورب لا يمشي فيه؟ لا يُشترط ولو لم تمشي فيه، لكن الحفاظ على الجورب، وقد تمشي فيه، ولذلك الخف يجوز المسح عليه للمرأة الملازمة بيتها. والزمن الذي لا يمشي مشدود لا يمشي، يجوز أن يدفع الخفين ولا يمشي فيه، وهكذا الجوارب.

ما كان فيه اسمه باقياً والمشي فيه ممكناً يجوز، لأنه خرق صغير من تحته، لا يفرق ذلك عن كونه خفان وجوربان.

يقول: ما الفرق بين الخف والجورب؟

الخف مصنوع من جلد وغليظ وفيه شيء، صلى في نعليه لا شك، لكن المسح على النعلين؟ يجوز ولا ما يجوز، ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ مسح على النعلين.

قال ابن القيم: هذا مشكل، والراجح ما قاله ابن تيمية: أن ضابط ذلك يجوز المسح على النعلين التي لا تُنزع إلا برجل أو يد. يعني: تضع رجلك على الأخرى ثم تنزع.

النعل عليه جزء وثبت أنه مسح، قال العلماء: النعل التي تمسح عليها هي التي لا تنزع إلا بيد أو برجل. يعني: لا بد أن تضع رجلك الأخرى لخلع الحذاء. إذا كانت تُنزع بنفسها لا بأس عليها. هذا الجواب. امسح على التي لا تُنزع إلا بيد أو برجل. هذا الضابط عند العلماء.

المسح على العمامة

ثبت المسح على العمامة في الوضوء عن النبي ﷺ وهو حاشي الرأس، وثبت المسح على الناصية والعمامة، وثبت المسح على العمامة، والعمامة هو ما عمّ الرأس وكور عليه.

فالمسح على العمامة سنة؛ فيجوز إنسان يمسح على العمامة ويمسح على ناصية العمامة. ضابط ذلك: أن الناس إذا كانوا خارجة تمشي عليها ثم تكمل، وإذا كانت مغطاة للرأس تمسح عليها فقط. هذا ثابت مسح ثبت في الصحيح البخاري ومسلم.

لا يُمسح على أي شيء غير العمامة، أما على أي شيء غير عمامة مكورة التي يُشق نزعها، وإذا نُزعت تأثرت. هذا الضابط عند العلماء.

يقول: ما يستدل على الجورب الرقيق بغزوة ذات الرقاع وكانوا يلفون الخرق على أرجلهم. ما بقي الاسم وتعلقت به الرجل. أنت فقير معدم بلاد باردة ما عندك إلا هذا الجورب الغليظ وإذا ما لبسته بقيت في البرد، وإذا كل مرة لتتوضأ تتضرر، وهذا باب تيسير على الناس.

نقول: يجب عليك أن تنزع ولا يمشي الحال هكذا، نقول: الرخصة أخذت أكثر من الفقراء، هذه رخصة ليست للفقراء، وباب الرخص للتيسير، ما بقي الاسم وأمكن المشي أجاز المسح وجزاكم الله ما أقول.

إذا توضأ الإنسان تمامًا، بعد ما توضأ يكون على طهارة، فهنا يلبس الجورب، ما يحتاج مسح، إذا تريد تتوضأ من غير أن تلبسه، ولا تحدث.

وجزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

الفهرس

٢ مقدمة؛
٣ "المسح على الخفين".
٤ ما شروط المسح على الخفين؟
٧ مسائل في المسح على الخفين.
٩ أقوال أئمة السلف -رحمهم الله-.
١٠ ما الذي يُبطل المسح على الخفين؟
١٢ حكم المسح على الجوارب؟
١٤ المسح على العمامة.

للاستماع إلى المحاضرة يرجى زيارة الرابط

<http://www.baynoona.net/ar/audio/1431>

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

تم تسجيل المحاضرة بـ

تاريخ المحاضرة : ٩ / ١ / ٢٠١٠

تاريخ تفريغها : ١٣ / ١١ / ٢٠١٧